

التربية الاجتماعية في القرآن الكريم

لأستاذ حسن كامل المطاوي
وكيل وزارة أحيات

٣

محاضرة القاها بنادي التجارة بالقاهرة

١٠ نوفمبر ١٩٦٠ سنة

٢١ جمادى الأولى ١٣٨٠ سنة



التربية الاجتماعية فى القرآن الكريم

لماذا تخبرت الكلام فى موضوع التربية الاجتماعية :

دعانى للكلام فى موضوع التربية الاجتماعية حديث جرى فيه على أثر سؤال وجهه إلى ابن أختى السيد / ماهر الملطوى الطالب بكلية التجارة . وهو شاب ناشئ فى طاعة الله . وكنت وإياه على سفر بالسيارة فى رمضان الفائت ، ثم تتابع الحديث بينى وبين نخبة من أحبائى بمغاغة (وهى بلدتنا الحبيبة) فى الموضوع ذاته يوم العيد ولم أكن أقدر أن مجال القول فيه سيتسع إلى الأفق الذى وصل إليه مع جمع الأحباب . وقد أبدوا لى بعد الحديث رغبة ملحّة فى تسجيله كتابة ليعم به النفع ، ولقد استجبت لرغبتهم الكريمة بهذا البحث .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنى من الداعين إلى التصوف . وقد عرفوه بأنه الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى ، والخلق قائم على المعاملة ، معاملة الخالق ومعاملة المخلوقين . وبحيث الموضوع يمكن إخوانى المؤمنين من التحلى بالأخلاق الإسلامية الصحيحة التى جلاها لهم القرآن الكريم ببيانه المعجز لفظاً ومعنى كما بينتها السنة المحمدية المطهرة ، وبالله التوفيق .

الإيمان بالله واليوم الآخر

وأساس الصلاح فى المجتمع أن يؤمن الناس بإله واحد لا شريك له لا شىء قبله ولا شىء بعده سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف

الخبير ، يرث الأرض ومن عليها ، ويبعثهم ليوم لا ريب فيه ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره
ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وهذا الإيمان يوجه الناس إرضاء ربهم ، الذى يعلم سرهم وجههم ليحصلوا على جزاء سعيهم
يوم ينظر المرء ما قدمت يداه .

وتربية الوجدان على مراقبة الله تعالى لا تقوم إلا عن الإيمان بالله واليوم الآخر ، ومن هنا كان
للدين على أرواح أهل الإيمان سلطان ما بعده سلطان .

الإيمان بالرسالة المحمدية :

ولما كانت الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات فقد جاءت مسك الختام فمن آمن بها فقد
فاز فوزاً عظيماً .

ومن فضل الله على عباده أن بقيت لهم معجزة القرآن على مر الأزمان متحدية الإنس والجن
ومنادية بالإيمان وموجهة إلى كل فضيلة ونهاية عن كل رذيلة فى إجمال رائع فصلته السنة
المطهرة فى إحاطة تامة .

ولقد جعل الله فى رسوله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ،
فمن تشبه به فى عبادته وأخلاقه فقد هدى إلى الصراط المستقيم .

نور الإسلام بشرق على ظلمات الحياة الاجتماعية :

وقد جاء الإسلام بعد نحو من ستة قرون من رسالة المسيح عليه السلام فقايل فى المعمورة
كلها فساداً شاملاً فى أحوال الناس الاجتماعية . فمن عبادة أوثان ، إلى سفاح سافر ، إلى وأد
بنات ، إلى حروب متلاحقة وأرحام متقاطعة ، إلى كبراء يملكون الرقاب ، إلى ملوك يتحكمون
فى العباد ، إلى تصرفات يخبطون فيها خبط عشواء عن جهالة جهلاء وغى لا يعرف طريقاً
للرشاد .

قابل نور الإسلام كل هذه الظلمات فبدها واحدة واحدة ، فدعا الناس أول مادعاهم إلى توحيد الله والاعتراف برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تعبدتهم بصلوات خمس تربط على هذا التوحيد وتذيقهم لذة مناجاته تعالى ، ثم إلى صيام يطهر نفوسهم ويربيها على الأمانة ويقوى إرادتهم فى اتصالها بالملأ الأعلى ، ثم إلى زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ثم إلى حج يجمع رابطتهم على أخوة فى الله ، ثم إلى التحلى بمكارم الأخلاق المحمدية التى لا توازيها أخلاق ، فىرى بعضهم بعضاً إخواناً متحابين موحدين يؤمنون بإله واحد ويدينون بالكتاب والسنة ويصلون إلى قبلة واحدة ويحجون إلى بيت واحد ، ولا يتولد عن هذه الظواهر إلا التماسك مهما اختلفت الأجناس وتباينت الألسن .

وما كادت الجزيرة العربية . وهى التى أشرق منها على العالم نور الإسلام . تستجيب لهذا الدين القيم حتى تحول أهلها من حياة الفوضى إلى الحياة المثلى ، وبفضل هذه الحياة المثلى ، تحولوا من رعاة غنم إلى ساسة أمم ودال لهم الشرق والغرب وتقوضت بجهادهم عروش كسرى وقيصر ولا يعرف العالم أمة صبغت بفتوحاتها الأمم الأخرى كما فعل مسلموا العرب ولا عرف التاريخ أمماً رحبت بدين يدين به الفاتحون كما رحب العجم بدين العرب ، وهذه والله بركات الإسلام الذى ارتضاه الله ديناً لعباده وقال تعالى فى شأنه : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً^١)) ،
والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ولا عجب فقد عنى الإسلام بحياة الناس الاجتماعية عناية كبرى

^١ الآية ٣ من سورة المائدة .

جعلت من المسلمين الأوائل طرازاً عجباً حب إلى غيرهم اعتناق دينهم والتخلق بأخلاقهم ،
ذلك إجمالى يقتضى المقام أن أتبعه بتفصيل يهدينا إن شاء الله سواء السبيل .

الاعتقاد بالإيمانيات الأخرى :

ويلحق بالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر الاعتقاد بسائر الإيمانيات من الجنة والنار والصراف
والميزان والثواب والعقاب وكل ما نزل على حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم وما نزل
على أحببنا المرسلين قبله صلوات الله عليهم أجمعين .

التخلق بالأخلاق المحمدية يودى إلى صلاح المجتمع :

فإذا وقر الإيمان فى القلوب فيجب أن يصحبه التطبيق العملى الدال على صحة الاعتقاد وإلا
كان إيماناً بالتمنى وهيئات أن ينفع صاحبه ، وما عرفت البشرية فى تاريخها طريقاً للتطبيق
العملى أو ضح ولا أيسر ولا أجدى مما أتانا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد
استقام صلى الله عليه وسلم كما أمره الله فنال من ربه أعظم شهادة ((وإنك لعلى خلق
عظيم))

ولم يؤمر وحده صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما أمر الله بل خوطب هو وأمته بقوله
تعالى:

((فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير^١)) .

وها أنا ذا أذكر إخوانى المؤمنين بالنهج الذى دعا إليه القرآن الكريم فى التربية الاجتماعية
وكثيراً ما يمر الناس على الآيات التى وردت فيها ولا يعونها . ومن وعاما لا يطبقها عملياً ،
وترك التطبيق العملى

^١ الآية ١١٢ من سورة هود .

أو التقصير فى بعض نواحيه هو الذى أخرجنا عن مستوى أسلافنا الصالحين . فالقرآن لم يتغير وأحكام الدين لم تتغير ولم تتبدل وإنما جاء التغيير فى أحوال الناس لتفريطهم فى التزام الآداب الشرعية .

التربية الاجتماعية التى دعا إليها الإسلام :

ولما كان الإنسان مختلطاً ببنى جنسه ولا يستطيع أن ينفك عنهم ، فقد علمه الله فى كتابه كيف يعامل الناس بتربية إسلامية عالية لو حرص الناس على اتباعها لا انتهت بهم إلى حياة اجتماعية مثلى وإليكم بعض نواحيها :

معاملة الوالدين :

ولما كان ألقى الناس بالإنسان والديه ، وهما صاحباً الفضل بعد الله عليه ، فقد علمه ربه كيف يعاملهما سلباً وإيجاباً . فقال جل شأنه : ((وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً))^١ ، ولما كانت للأم مشقات خاصة فى الحمل والرضاعة فقد ذكر الله الإنسان بها فقال :

((ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إني تبت إليك وإني من المسلمين ، أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى

^١ الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من سورة الإسراء .

أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون ^١)) .
وأنت ترى من هذه الآيات وغيرها أنه تعالى أرشدك بعد توحيده إلى الناحية السلبية فى معاملة
والديك بكف الأذى عنهما وإلى الناحية الإيجابية ببرهما والدعاء لهما بالرحمة ، ولا غرابة فقد
رحمك وأنت ضعيف لا حول لك ولا طول ، فيجب عليك أن تقابل الجميل بالجميل .
ثم إن الله تعالى قد ضرب لك أروع الأمثال فيما قصه عليك فى القرآن الكريم من أنباء الرسل
الكرام عليهم الصلاة والسلام واليكم بعضها : فقد حكى عن سيدنا إبراهيم أنه قال لا بنه سيدنا
إسماعيل عليهما السلام : ((فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك
فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ^٢)) .
كما برز لك رقة سيدنا إبراهيم عليه السلام فى مخاطبة أبيه وقد زجره بقوله :
((قال أراغب أنت عن آلهتى ياإبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا ، قال سلام عليك
سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا ^٣)) .
وصور الله لك حنان سيدنا يوسف عليه السلام وهو يقول لإخوته : ((اذهبوا بقميصى هذا
فألقيه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين ^٤)) .

^١ الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة الأحقاف .

^٢ الآية ١٠٢ من سورة الصافات .

^٣ الآيتان ٤٦ ، ٤٧ من سورة مريم .

^٤ الآية ٩٣ من سورة يوسف .

كما صورته فى موقع حنان آخر حين رجعوا إليه :

((ورفع أبويه على العرش وخرروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد نزع الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ^١)) .

وجاء فى وصف سيدنا عيسى عليه السلام :

((وبرا بوالدتي ولم يجعلنى جبارا شقيا ^٢)) .

وجاء فى وصف سيدنا يحيى عليه السلام .

((وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ^٣)) .

ويبين لنا صورة عكسية فيما كان بين سيدنا نوح عليه السلام وابنه فقد قال له :

((ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، قال سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم)) وحال بينهما الموج فكان من المغرقيين ^٤)) .

وما أعظم الفارق بين نهاية سيدنا إسماعيل عليه السلام الذى أطاع أباه فافتداه الله بذبح عظيم وبين نهاية ابن نوح الذى عصى أباه فكان من المغرقيين .

ولا تظنوا ياإخوانى أن بر الوالدين يكون فى حياتهما بل يجب برهما بعد موتهما بالصورة التى بينهما حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى الصحاح عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى أن رجلا قال

^١ الآية ١٠٠ من سورة يوسف .

^٢ الآية ٣٢ من سورة مريم .

^٣ الآية ١٤ من سورة مريم .

^٤ الآيتان ٤٢ ، ٤٣ من سورة هود .

يارسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما قال : نعم ، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما . أخرجه أبو دواد .

ولما كلن الزواج أساساً لعمران المجتمع فقد عنى القرآن الكريم بالحياة الزوجية أيما عناية وأرادها قائمة على المودة والرحمة والتراضى والتشاور والتعاون واليكم التفصيل .

أما عن المودة والرحمة بين الزوجين فقد قال تعالى :

((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ^١)) .

فالزوجية الصالحة يجب أن تقوم على المودة والرحمة وكل زواج يقوم على غيرهما لا يقوم على النهج الإسلامى الصحيح .

ثم إن الله تعالى وهو العليم بخلقه رسم للأزواج سبيل التصالح إن وقع بينهما شقاق فى قوله تعالى :

((وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا ^٢)) .

وكذلك قال تعالى :

((وإن امرأة خافت من بعلها نشوز أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ^٣))

وإذا قال الله والصلح خير كان علينا أن نعمل جاهدين للحصول

^١ الآية ٢١ من سورة الروم .

^٢ الآية ٣٥ من سورة النساء .

^٣ الآية ١٢٨ من سورة النساء .

على هذا الخير . ويؤخذ من مفهوم المخالفة أن الفرقة شر وكيف لا تكون شرا وفيها شتات الأسرة وتقويض بنيانها .

والم تأمل في كتاب الله الكريم يرى أنه حرص في أكثر من موضع آخر على صيانة كيان الأسرة ووضع الحلول لتفادي مساوئ افتراق الزوجين وكفى عظمة المؤمنين ما حكاه الله في سورة المجادلة من أن يستمع الله في عليائه لزوجته تجادل في زوجها حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم وتنتهي القصة بحكم شرعى يلم شتات الأسرة ويبقى على سعادة الزوجين والأولاد . وللاعتبار في الحياة الزوجية بقصة المجادلة نسوقها مفصلة كما روتها كتب الائمة المفسرين .

يقول الله تعالى في سورة المجادلة :

((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ، الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلى اللأئى ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور ، والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم)) .

والتي جادلت في زوجها هي السيدة خولة بنت ثعلبة زوجة الصحابي الجليل أوس بن الصامت رضى الله عن الصحابة جميعا .

وقد قالت السيدة عائشة رضى الله عنها في قصتها تبارك الذى وسع سمعه كل شىء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهى تشتكى

^١ الآيات ١ - ٤ من سورة المجادلة .

زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول : يارسول الله أكل شبابي ونثرت له
بطني حتى إذا كبر سني وأنقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل
جبريل بهذه الآية :

((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله))

ظاهر مني أي قال أنت على كظهر أمي ، وكان الظهار من الطلاق في الجاهلية .
وفي رواية أخرى أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها حرمت عليه فقالت والله ما
ذكر طلاقا ثم قالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي وقد نفضت
له بطني فقال حرمت عليه فما زالت تراجعته ويراجعها حتى نزلت الآية .

وروى مولانا الحسن أنها قالت يارسول الله قد نسخ الله سنن الجاهلية وإن زوجي ظاهر مني
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى إلى في هذا شيء فقلت يارسول الله أوحى إليك
في كل شيء وطوى عنك هذا فقال هو ماقلت فقالت إلى لله أشكو فأنزل الله : قد سمع وجاء
في تفسير الأمام النسفي أنها قالت إن لي صبية صغارا إن ضمتم إليهم ضاعوا وإن ضمتم
إلي جاعوا .

وكل هذه الروايات متفقة في المغزى وإن اختلفت في اللفظ .

وإن دلت هذه القصة الرائعة على شيء فإنما تدل على أن الله تعالى يحب من عباده أن
يصونوا رباط الزوجية حتى لا تشقى الأسرة كلها بفك ذلك الرباط الطاهر ، وقد أنزل الله حكم
الفدية في الظهار على التفصيل الوارد في السورة تجنبا للفرقة ، كما أن حبيبتنا المصطفى
صلى الله عليه وسلم جرى مشيئة الله العالوية فأعان بماله أوس بن الصامت في الفدية
وتفصيل ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال له : اعتق رقبه قال : مالي بذلك يدان قال :

فصم شهرين متتابعين قال : أما أنى إذا أخطأنى أن آكل فى يوم ثلاث مرات يكل بصرى قال فأطعم ستين مسكينا قال : ما أجد إلا أن تعيننى منك بعون وصلة . قال فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له .

وقد رفعت سورالمجادلة مكانة السيدة خولة بل خلدتها فى النساء والواقع أنها أبرزت إخلاصها لزوجها ولأولادها وضربت للزوجات مثلا باقيا بقاء السموات والأرضين . والدليل الذى أسوقه على رفعة مكانتها إجلال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لها فقد مر بها رضوان الله عليه والناس معه على حمار فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب . وهو واقف يسمع كلامها ، فقيل له يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف فقال والله لو حبستنى من أول النهار إلى آخره لازلت إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز هى خولة بنت ثعلبة قد سمع الله قولها من فوق سبع سموات أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر .

فهلا وقف رجالنا ونساؤنا على مفاخر هذه القصة الخالدة فاتعظوا بها فأمسك الرجال عليهم زوجانهم وأخلصت النساء لأزواجهن وأولادهن مثل إخلاص خولة حتى تتفادى الأسر الكدر والخصام وتعيش فى صفاء وسلام .

ولا شك أن هناك اسبابا لصفاء الأسرة وسلامتها رسمها الله واضحة بينه فى كتابه الكريم وهى :

التراضى والتشاور بين الزوجين :

يقول تعالى فى سورة البقرة :

((والولادات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير ^١)) .

وإذا كان الله يريد من الزوجين أن يتم فطام الطفل عن تراض وتشاور بين الزوجين فبالقياس يحب الله من الزوجين أن يقوم بينهما التراضى والتشاور فى الأمور الأخرى التى تمس صالح الأسرة فلا ينفرد بها الزوج عن تعنت ولا تستقل بها الزوجة عن إمرة فيدب الخلاف الذى قد تسوء عقباه .

التعاون المالى بين الزوجين .

ومع أن الإسلام جعل النفقة على عاتق الرجل فى قوله تعالى :

((الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ^٢))

فإنه دعا النساء إلى التعاون المالى مع أزواجهن بتعبير جميل فى قوله تعالى :

((وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ^٣)) .

^١ الآية ٢٣٣ من سورة البقرة .

^٢ الآية ٣٤ من سورة النساء .

^٣ الآية ٤ من سورة النساء .

وبقوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا استبعد أن يأخذ الرجل المال عنوة من النساء أو تحت تهديد الطلاق أو الفراق .

وفى حين يكون المال المأخوذ عن طيب نفس من الزوجة هنيئاً مريئاً يكون الافتيات على حقها فى مالها بهتاناً وإثماً مبيناً كما بينت الآية الكريمة . ((وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً^١)) .

وقد أعانت السيدة خديجة أم المؤمنين عليها السلام حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بمالها وكان يثنى عليها فى هذا الموقف ويقول مشيراً إلى فضلها إنها آمنت بى حين كذبنى الناس وواستنى بمالها حين حرمنى الناس .

ومما تقدم ترون أن الرجال الذين لا يقومون بواجب النفقة على الأسرة مخطئون واللائى يتخلين من النساء الموسرات عن معاونة الأسرة مخطئات وواجب على الطرفين أى يتراحما ويصحح موقفهما ويذعنا لإرشاد الله الذى لا يعلوه إرشاد .

المصابرة :

والمصابرة بين الزوجين واجبة لصيانة الأسرة وهى مأجورة من الله تعالى ، ولو فهم الأزواج روح الدين ما قام بين الزوجين شقاق لأتفه الأسباب .

ولابد أن يفهم الطرفان أنهما بشر وتقع الخطيئة من كل منهما وواجب على الطرفين أن يتسامحا حتى لا تتسع شقة الخلاف .

وعند استحكام الخلاف يجب أن يتدخل العقلاء من أهل الزوج والزوجة لإصلاح ذات البين ويجب أن يستمع الزوجان إلى نصيحة العقلاء وما أحلى ما يقوله الله إرشاداً لهما فى هذا

المقام : ((إن يرادا إصلاحاً يوفق الله بينهما))

^١ الآية ٣٠ من سورة النساء .

ويجب على الزوجين التمساس العذر لبعضهما البعض حتى يتغلبا على هواجس النفس والشيطان ولا يقوم بينهما سوء ظن يتبعه نفور مستحکم .

كذلك يجب على كل منهما أن يجاهد نفسه في نزعات الهوى التي قد تنشأ عن اختلاف الشكل ، فكثيرا ما يعوض الله بعض النقائص بفضائل خلقية أو عقلية وإذا نظر كل إلى المجموع إرتاح لدوام العشرة والآية الكريمة المتقدمة " إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهم " تفيد أن النية الطيبة التي ينويان بها المعاشة الزوجية تكون سببا في التوفيق بينهما على الدوام .
ومن طريف ما قرأته في هذه المناسبة أن عمران الخارجي كان دميم الخلقة وكانت امرأته من أجمل النساء ، فنظرت إليه وقالت الحمد لله على أنى وإياك من أهل الجنة ، قال كيف فقالت لأنك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للصابرين والشاكرين .

تعدد الزواج وسوء استعمال الحق فيه :

ومن دواعى الخلاف فى الأسرة تعدد الزواج وخاصة إذا أسئى استعمال الحق فيه ولم يكن عن ضرورة ملحة .

نعم إن الله تعالى أباح تعدد الزواج ولكن قيده بعدل لايتأتى لبشر إلا فى القليل الذى لا يقاس عليه .

ولو تحرى المؤمنون رشدا لتجنبوا تعدد الزواج ولما لجأوا إليه إلا عند الضرورة القصوى التى تبرره بيقين ، وذلك لأسباب اجتماعية ومالية أبرزتها الآية الكريمة إبرازا لا خفاء فيه :
((وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا ^١)) .

^١ الآية ٣ من سورة النساء

وإذا رجع إخوانى إلى الآية التى قبل السابقة وهى :
 ((وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا
 كبير^١)) .

فإذا ربطنا بين الآيتين وجدنا أن الله قاس الاعتداء على أموال اليتامى بالاعتداء على حق
 الزوجات عند التعدد بعدم العدل بينهن ، وإذن فهو حوب كبير والحوب الكبير هو الذنب العظيم
 وما أروعه من قياس مخيف .

والذى يخلص الرجال من هذا الحوب الكبير هو أن يكتفى الزوج بزوجة واحدة اتباعا لقوله
 تعالى ((فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة)) ما لم تلجئ الزوج ظروف خاصة تخرجه عن هذه
 القاعدة والمؤمن أمين على دينه وسيقول الله يوم القيامة ((اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
 حسيبا^٢))

هذا من الناحية الاجتماعية ؛

أما من الناحية المالية فما أبدع قوله تعالى ((ذلك أدنى ألا تعولوا)) ولا شك أن تعدد
 الزوجات مدعاة لكثرة الأولاد ، وكثرة الأولاد مدعاة لزيادة النفقة وفى اللغة عال الرجل عياله
 يعولهم كقولك ما نهم يمونهم إذا أنفق عليهم ، وإلى هذا ذهب الإمام الشافعى فى تفسير تلك
 الآية وحسبك به حجة فى العلم .

وإن التزم أسلافنا الصالحون جانب الحذر يحكم هذا الإرشاد الربانى ، فنحن أحوج منهم إلى
 الحذر فى الزمن الحاضر وأين نفقاتنا اليوم من نفقتهم بالأمس .

^١ الآية ٢ من سورة النساء .

^٢ الآية ١٤ من سورة الاسراء .

ومن عجب أن يقول العوام فى تبرير تصرفهم السيئ فى تعدد الزواج دون مبرر صحيح ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد الزواج وهم فى هذا التبرير يجهلون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدد الزواج لشهوة جسدية كما يفعلون ولكن لغايات دينية عظمى .
ولدقة هذا المقام أسوق شيئاً من التفصيل :

قليل من المسلمين من يعرف أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم على كثرة من تزوجهن لم يتزوج بكرة إلا السيدة عائشة وكان ذلك بعد أن جاوز الخمسين ، وهذا وحده كافى لدفع حالة
السوء .

أما أولى زوجاته فهى أم المؤمنين سيدتنا خديجة رضوان الله عليها وكانت حين تزوجها ثيباً فى سن الأربعين وكان هو فى سن الخامسة والعشرين ولم يتزوج عليها قط مدة حياتها .
ثم إنه تزوج بالسيدة صفية بنت حيى وقد كانت يهودية وأسلمت كما كانت السيدة مارية قبطية وأسلمت وفى ذلك تأليف لأهل الكتاب للدخول فى الإسلام .

وتزوج أم المؤمنين زينب للحكمة التى بينها الله :

((وإذ تقول للذى أنعم الله عليك وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله تخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً)) 'وتزوج بسائر أمهات المؤمنين لظروف بينها كتب السيرة وليس لها الطابع الذى يتخرص به المتخرصون .

وفضلاً عن أن الرسول المعصوم صلوات الله عليه أعدل البشر على

^١ الآية ٣٧ من سورة الأحزاب

الإطلاق فإن أبيع له يبيع لغيره فخطب من ربه :

((ترجى من تشاء منهم وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حلما ^١)) .

وأراد الله بذلك أن يطمئن نفوس أمهات المؤمنين لأنهن إذا علمن أن هذا التفويض معطى من الله تعالى لرسوله الكريم رضين بقسمته صلى الله عليه وسلم ولم تداخلهن غيرة الأزواج ، ومع ذلك التفويض الواسع كان صلوات الله عليه يخشى الله ويتقيه ويعدل فى القسمة بين أزواجه ويقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك ، يشير بذلك إلى ميله القلبى لسيدتنا عائشة رضى الله عنها .

هذا إلى أن نساءه صلى الله عليه وسلم قمن بمعاونته فى نشر الفضائل وكن القدوة الطيبة بين النساء بالمثل العليا التى التزمها علمياً وعملياً امثالاً لقوله تعالى : ((يانساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفاً ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً ^٢)) .

بين الله لهن بتلك الآيات أنه تعالى إنما نهاهن وأمرهن ووعظهن ليحذر أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم من المآثم وليصدهم عنها بالتقوى الخليفة بهم رجالا ونساء واستعار الله للذنوب الرجس وللتقوى الطهر .

^١ الآية ٥١ من سورة الاحزاب .
^٢ الآيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ سورة الأحزاب .

وهذه القدوة الطيبة لها مغنمها ومغرمها :

((يانساء النبي من يأتي منكن بفاحشة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما^١))
ثم تعالوا نذكر فضلهم في الإبلاغ عن سيد المرسلين مما بقى تراثا نافعا لنا في الدين على مر السنين ، واية بركة كانت لأمة المؤمنين سيدتنا عائشة على الأخص في نقل الحديث النبوي الشريف إلى الأمة المحمدية وكفى بهن شرفا رضوان الله عليهن أن يقول الله فيهن :
((يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما^٢)) .

وقد اخترن رضوان الله عليهن الله ورسوله والدار الآخرة ، وياله من شرف على هاماتهن في الدنيا والآخرة . وقد روى أنه حين نزلت الآياتان المتقدمتان بدأ صلى الله عليه وسلم بالسيدة عائشة وكانت رضوان الله عليها أحبهن إلى قلبه الطاهر فخيرها وقرأ عليها ما نزل وقال لها إنى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجلي فيه حتى تستأمرى أبويك ، فقالت وهى الرشيدة الموفقة أفى هذا استأمر أبوى ، فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، فرؤى الفرخ فى وجهه صلى الله عليه وسلم وكذلك جاراها سائر أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن .
والناظر بدقة فى قوله تعالى :

((لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك

^١ الآياتان ٣٠ ، ٣١ من سورة الأحزاب .

^٢ الآياتان ٢٨ ، ٢٩ من سورة الأحزاب .

حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا^١)).
 يخرج منه بأن زواجه صلى الله عليه وسلم لم يكن لأغراض شهوانية وحاشاه وهو الذى نفخ
 فى الأرواح بإذن الله فأحياها من مواتها ووصلها بالملا الأعلى الذى هبطت منه وتعود إليه
 عند انتهاء الأجل .

وجدير بالتنويه أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم رفض بشدة أن يتزوج الإمام على
 زوجة أخرى مع سيدتنا فاطمة الزهراء ، وإليكم الحديث الشريف الذى جاء فى هذا الشأن
 والوارد فى الصحاح .

عن المسور بن مخرمة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو
 يقول : إن بنى هشام بن المغيرة استاذنوني أن ينكحوا ابنتهم على ابن أبى طالب فلا آذن لهم
 ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فإنما ابنتى بضعة
 منى يريبنى ما رابها ويؤذيني ما آذاها ، رواه الخمسة .

وكفاه دليلا ساطعا على أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يشجع تعدد الزواج مع
 حله ، كما أنه دليل على أن تعدد زواجه صلى الله عليه وسلم لم يكن لأغراض شخصية بل
 لأغراض دينية تسمو فوق كل اعتبار وما يعقل ذلك إلا العالمون .

رعاية الأولاد والعدل بينهم :

الأولاد أمانة فى أعناق آبائهم وأمهاتهم ويجب على الوالدين رعاية أولادهم فى عقائدهم
 وأخلاقهم كما يجب عليهم العدل بينهم وعدم التمييز بججج لا يرضاها الله ورسوله .

فأما عن العقيدة ، فانظروا إلى عناية سيدنا يعقوب بها وهو على فراش الموت .

((أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من

^١ الآية ٥٢ من سورة الأحزاب .

بعدي قالوا تعبد إلهك وإله آباءك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهها واحداً ونحن له مسلمون^١))
: .

وتأملوا فيما نصح به لقمان ابنه :

(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون ، يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ، يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير^٢ ")

أما عن العدل فما أوضح قوله تعالى :

(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهما أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً^٣))

^١ الآية ١٣٣ من سورة البقرة .

^٢ الآيات ١٣-١٩ من سورة لقمان .

^٣ الآية ١١ من سورة النساء .

والمأمل فى الآفة الكرفمة ىرى أنها جعلت نصيب الأنثى أساسياً ونصيب الذكر مقيسا عليه ، ولم يقل الله للأنثى نصف الذكر وهى بلاغة إلهفة تعلم الناس أن يخافوا الله فى حقوق أولادهم وخاصة أولئك الذين يحرمون البنات من الميراث وهم أحياء ، أو يقللون نصيبهم بحجة أنهم متزوجات بغرباء عنهم وأن الذكور من أحفادهم أولى لأنهم أبناء البطون وهذا والله هو الظلم بعينه ونسأل الله أن يجيرنا منه ومن تبعاته . ولو أنكم وقفتم قليلا عند قوله تعالى :

((آباءكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيفا)) .
تبين لكم أن قسمة الله العليم الحكيم أولى بالإتباع من قسمة الأهواء الشخصية ويؤكد ذلك المعنى قوله تعالى ((فريضة من الله ، وليس لأحد أن يخالف ما فرضه الله .

وفى هذه المناسبة أذكر رجلا جاء إلى شيخنا العارف بالله سيدى الشيخ أبو خليل قطب عصره ، وساكن ضريحه الأنوار بالزقازيق ، فقال أريد أن أميز ابنى فلانا على أخواته بكذا وكذا ، فسكت الشيخ رضى الله عنه ولم يجبه ، وطال سكوته فقال له أحد الجالسين إن السائل ينتظر من شيخنا الجواب ، فقال له وأى جواب ينتظره منى إذا كان تقسيم الله لا يعجبه ، فهل يعجبه تقسيم أبو خليل فعدل الرجل عن عزمه وتاب إلى الله .

معاملة الأخوة :

ولما كان الإخوة هم فروع الشجرة فى الأسرة وينتمون لأصل واحد فإن التسامح بينهم واجب مهما وقع بينهم من أسباب الخلاف .

وما أرق سيدنا يوسف الصديق عليه السلام فى موقفه من إخوته وقد عاملوه معاملة قاسية كادت تودى بحياته لو لم تدركه عناية الله أقول

ما أرقه وقد عرفوه حاكما لمصر آخر الأمر وقالوا له ما حكاه الله فى قوله تعالى : ((فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين ، قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ، قالوا أأنك لأنت يوسف قال أن يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين . قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ^١))

ومعنى لا تثريب عليكم أى لا أعيركم بما كان منكم ، وقد استعمل هذه الكلمة الطيبة أبو سفيان حين جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليسلم حيث قال له العباس رضى الله عنه إذا أتيت رسول الله فاتل عليه ((لا تثريب عليكم اليوم)) ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولم علمك .

وما أوصل سيدنا موسى عليه السلام للرحم حين يدعو ربه : ((واجعل لى وزيرا من أهلى ، هارون أخى ، أشدد به أزرى ، وأشركه أمرى ، كى نسبحك كثيرا ، إنك كنت بنا بصيرا ، قال قد أوتيت سؤلک يا موسى ^٢)) وما ألين جانب سيدنا هارون عليه السلام حين أخذ برأسه سيدنا موسى وهو غاضب لله إذ رأى قومه كفروا به :

((يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى ^٣))

فهلا يفيد الإخوة فى هذا الزمان من ذلك القصص البديع فيأترفون

^١ الآيات من ٨٨ إلى ٩٢ من سورة يوسف .

^٢ الآيات من ٢٩ إلى ٣٦ من سورة طه .

^٣ الآية ٩٤ من سورة طه .

ولا يختلفون ويتسامحون ولا يتباغضون .

معاملة ذوى الأرحام والحيران :

ما أبدع ما يقول الله تعالى :

((وابدوا لله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً^١)) .

والإحسان يكون بالقول والفعل والإنفاق عليهم عند الاقتضاء ، وكفاها عظة أن يجئ الأمر بالإحسان إلى هؤلاء بعد الأمر بعبادة الله وتوحيده .

ولا يخفى أن إعانة المحتاج صدقة فإذا كان من ذوى الأرحام فإنها تكون لصاحبها صدقة وصلة رحم ، وإذا كان ذو الرحم يتيماً وجاهدت نفسك فأحسننت إليه أعانك إحسانك إليه على أن تكون من أصحاب اليمين بدليل قوله تعالى :

((فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسبغة ، يتيماً ذا مقربة ، أو مسكيناً ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة^٢)) .

وقد قال مولانا الحسن السبط رضى الله عنه ((عقبة والله شديدة مجاهد الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان)) .

ومن طريف ما قرأته أن بعض الصالحين كان إذا جاءه محتاج يهش فى وجهه ويقول له مرحباً بمن جاء يحمل زادى إلى الآخرة بغير أجره .

وإذا أساء إليك بعض ذوى الأرحام فضنت نفسك عليه بتأثير من هذه الإساءة فارجع إلى قوله تعالى :

^١ الآية ٣٦ من سورة النساء .

^٢ الآيات من ١١ - ١٨ من سورة البلد .

((ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين المهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصغحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ')) .

وهذه الآية الكريمة نزلت فى شأن مولانا أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف ألا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها وكان مسكينا بدويا مهاجراً ، ولما قرأها حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم على سيدنا أبى بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لى ورد إلى مسطح نفقته .

وقد روى معاذ بن جبل رضى الله عنه عن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم حديثاً جامعاً فى معاملة الجار قال - قلنا يارسول الله ما حق الجار قال : إن استقرضك أقرضته وإن استعانك أعنته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعته جنازته - وإن أصابه خير سرك وهنئته ، وإن أصابته مصيبة ساءتلك وعزيتة ولا تؤذ به بقتار^٢ قدرك إلا أن تغرف له منها . ولا تستظل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه . وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها وإلا فأدخلها سرا ولا يخرج ولدك بشئ منها بغيظون به ولده - وهل تفقهون ما أقول لكم لن يؤدى حق الجار إلا القليل ممن رحم الله أو كلمة نحوها .

وقال العلماء الوصاة بالجار مأمور بها مندوب اليها مسلماً كان أم كافراً ، وروى البخارى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله إن لى جارين فألى أيهما أهدى - قال إلى أقربهما منك بابا .

وقال حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عند

^١ الآية ٢٢ من سورة النور .

^٢ قنار القدر أى رائحته .

تفريق لحم الأضحية : إيدئى بجاننا اليهودى .

وروى أن شاة ذبحت فى أهل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . فلما جاء قال أهديتم لجاننا اليهودى - ثلاث مرات - سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .
ويرحم الله أمير الشعراء شوقى إذ يقول :

ولا أزيدك بالإسلام معرفة كل المرءوة فى الإسلام والحسب

وقد روى أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من أصحابه وهما على رحلتين ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيضة فقطع قضيبين احدهما معوج فخرج وأعطى لصاحبه القويم ، فقال كنت يارسول الله أحق بهذا فقال كلا يا فلان إن كل صاحب يصحب آخر فإنه مسؤول عن صحابته ولو ساعة من نهار .

وقال ربيعة بن أبى عبد الرحمن للسفر مروءة وللحضر مروءة ، فأما المرءوة فى السفر فبذل الزاد وقلة الخلاف على الأصحاب وكثرة المزاح فى غير مساخط الله ، وأما المرءوة فى الحضر فالإدمان إلى المساجد وتلاوة القرآن وكثرة الإخوان فى الله عز وجل .

ولبعض ذوى المرءوة من بنى أسد :

إذا مارفيقى لم يكن خلف ناقتى له مركب فضلا فلا حملت رجلى
ولم يك من زادى له شطر مزودى فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا فضل
شريكان فيما نحن فيه وقد أرى على له فضلا بما نال من فضلى

حرمة المسلم :

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، هكذا علمنا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع .

والنظر فى كتاب الله الكريم يراه قد نهى عن القتل :

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً)^١ .

كما نهى عن أكل المال بالباطل :

(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون)^٢ .

وقد قال حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت به بشئ من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً فإن ما أقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقى لصاحبى .

وخص مال اليتيم بقوله :

(إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)^٣)
وقد روى أنه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا .

أما العرض فقد صانه الله بسياج قوى من قوله تعالى :

(إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا

^١ الآية ٩٣ من سورة النساء .

^٢ آية ١٨٨ من سورة البقرة .

^٣ الآية ١٠ من سورة النساء .

والآخرة ولهم عذاب عظيم^١)

آداب عامة :

جاء القرآن بآداب عامة غاية فى الروعة ولو راعاها الناس وعملوا بها لأراحوا واستراحوا وأخص من تلك الآداب ما يأتى :

حرمة البيوت :

استمعوا إلى الآية الكريمة :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم^٢) .

قارنوا بين هذه الآداب التى رسمتها تلك الآية وما يقع لكم من مضايقات بسبب الخروج عليها .

السخرية :

نهى الله تعالى عن السخرية أبلغ نهى ، فقال جل جلاله :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم لولا تنازوا بالألقاب بنس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .^٣)

^١ الآية ٢٣ من سورة النور .

^٢ الأياتان ٢٧ و ٢٨ من سورة النور .

^٣ آية ١١ من سورة الحجرات .

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول (البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا) فأين هذا مما نحن عليه الآن ؟

التجسس والغيبة وسوء الظن :

كذلك جاء النهى عن التجسس والغيبة وسوء الظن فى قوله تعالى :
 (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم^١) .
 وقد روى أن سلمان رضى الله عنه كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبغى لهما إداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ما عندى شئ فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغاض ماؤها فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتناولنا لحما قال أنكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد أكل لحمه ثم قرأ الآية .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

يقرر الله تعالى :

((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله^٢)) .

^١ آية ١٢ من سورة الحجرات .

^٢ الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

ويقول :

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ^١) .

وهذه الأمة بحمد الله وفضله مستجيبة للأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر فليكن ذلك مشجعاً لأهل الفضل في نشر الدعوة إلى الخير بينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً بالقلم واللسان والأسوة الحسنة من مسلكهم الذي يمشون به في الناس .

ولين الجانب :

ولين الجانب من خير ما يوهب المرء في أخلاقه لأنه يؤلف الناس بعضهم ببعض ألا ترى كيف امتدح الله حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم في هذه السجية فقال تعالى :

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمته فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) ^٢

رفع التكلف مع الأهل والأصدقاء :

وانظر كيف يعلمنا الله الاختلاط السمع مع الأهل والأصدقاء دون حرج أو تكلف فيقول جل شأنه :

(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت

^١ الآية ١٠٤ من سورة آل عمران .

^٢ الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت
أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا
أو شتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله
لكم الآيات لعلكم تعقلون)^١

المروءة مع أهل الضعاف :

ومن مروءة أهل الإيمان أن يعين قويهم ضعيفهم لا يبتغى بذلك إلا مرضاة الله ، ألسنت ترى إلى
مروءة سيدنا موسى عليه السلام وهو يعين بنتى نبي الله شعيب عليه وعلى سائر أنبياء الله
أفضل الصلاة وأتم السلام فيما حكاه الله تعالى :
((ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم إمراةين تذودان
قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ثم تولى إلى
الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير .)^٢

حسن المسلك واعتداله :

واغنم يا أخى حسن المسلك واعمل بما أنزله إليك ربك من الحكم المحكمة النافعة لك فى
دينك ودنياك واستمع اليه تعالى إذ يقول ناصحا لك : (وآت ذات القربى حقه والمسكين وابن
السبيل ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما

^١ آية ٦١ من سورة النور .

^٢ الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة القصص .

تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ، ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده واطفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ، واطفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسط المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ، ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ، ولا تمشى في الأرض مرجحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ، كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروهاً ، ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً .^١

الروية وأخذ الأمور بالحذر .

وما احسن ما يعظنا الله به في قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما

فعلتم نادمين) .^٢

^١ الآيات من ٢٦ / ٣٩ من سورة الإسراء .

^٢ الآية ٦ من سورة الحجرات .

(ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً)^١

عباد الرحمن :

ولست أدعى أنى ألممت بكل النواحي الاجتماعية فى القرآن على كثرة ما سمعت منى ولكنى أستطيع أن أقول فى ثبات واطمئنان أننا لو طبقنا عمليا ما سمعناه الليلة لخشعت قلوبنا وجوارحنا لله ولكننا من عباده الصالحين الذين نسبهم اليه تعالى تشريفاً لأقدارهم وقال فى وصفهم : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقرا ومقاما ، والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وأمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما .)^٢

وفقنى الله وإياكم لما يحب ويرضى وأشركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

^١ الآية ١١٢ من سورة النساء .

^٢ الآيات من ٦٣ - ٧٦ من سورة الفرقان .